الخشية

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾

[الرحمن: ٤٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد..،

فقد صرنا في زمان تلهى فيه الناس عن عبادة الديّان وأقبلوا على طاعة الشيطان، وزمان كثرت فيه الفتن والملهيات، ومالت فيه النفوس إلى الشهوات. فانشغل الناس بجمع الحُطام، ونسوا أنهم سيرجعون يومًا من الأيام، إلى المليك العلام. ومع ذلك فقد أمنوا مكر الله، ولم يخشوا عاقبة مكرهم، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، واتكلوا على عفو الله ونسوا عقوبته، وأمّلوا رحمته ولم يخشوا عذابه، واغتروا بحلمه وأمنوا نقمته.

إذا خوّفت أحدهم عاقبة سعيه، قال: إن الله غفور رحيم، وإذا حذرته مكر الله قال: إنه الكريم الحليم.

فليت شعري قد جمعوا إساءة وأمنًا: ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ الله إِلا القَوْمُ الخَاسِرُونَ﴾[1]!

※فوائد الخشية من الله:

(١) حضور القلب وتهيؤه لطاعة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾[2].

---

(١) الأعراف: ٩٩.

(٢) الأعلى: ١٠.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلا مَنْ يُنِيبُ﴾[(١)].

(٢) الخوف من الله عاصم من الذلل:

اعلم يا عبد الله أن ثمرة الخوف من الله أن يحجزك عن معصية الله، فيمتلئ قلبك مهابة منه، وإجلالاً لأمره، وحذرًا من عقوبته وبطشه.

فالخوف هو السوط الذي يلهب قلوب الصالحين إذا ما أصابتهم غفلة أو سِنة عن أمر الله، فيصيرون: ﴿إِذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[(٢)].

وفي الحديث: "من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة"[(٣)].

فالمقصد من التخويف هو تقوى الله تعالى والعمل بطاعته، وزجر النفوس عن شهواتها.

ولهذا تظهر البلاغة النبوية في دعاء الرسول ﷺ: "اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك،ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك"[(٤)].

فالنبي ﷺ لم يقل اللهم ارزقنا خشيتك أو الخوف منك...

وذلك، لأن الخوف والخشية غير مرادين لذاتهما، ولكنهما مرادان لكي يكونا سببًا زاجرًا عن المعاصي؛ لأن الخوف إذا زاد عن حده فإنه يؤدي إلى اليأس من رحمة الله، وهذا كفر، فينبغي أن يعتدل الخوف والرجاء، فالمقياس الذي يقاس به الخوف من الله تعالى، هو مدى الاستجابة لأوامره، وترك نواهيه، ولذلك كان السلف

---

(١) غافر: ١٣.
(٢) الأنفال: ٢.
(٣) الحديث رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة (٢٤٥٢). وأدلج أي سار من أول الليل والمراد التشمير في الطاعة كما قال الإمام النووي في رياض الصالحين ح(٤١١).
(٤) الحديث أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب انظر صحيح الترمذي ح(٢٧٨٣).

يقولون: ليس الخوف من الله تعالى بكثرة البكاء وسكب العبرات، ولكنه بترك المناهي وتحصيل الطاعات.

فإذا أردت أن تعرف مدى خوفك من الله تعالى فانظر أين أنت من المحافظة على الصلاة، وأدائها في أوقاتها، وتعظيم أمرها والخشوع فيها لله رب العالمين؟! فإنها من أعظم الأوامر، وأقرب القربات.

وإذا أردت أن تعرف مدى خوفك من الله، فانظر أين أنت من الزكاة ومعرفة حقوق الفقراء والمساكين وذوي الحاجات؟

وإذا أردت أن تعرف مدى خوفك من الله، فانظر أين أنت من الحلال والحرام؟

أين أنت من ترك الربا؟

أين أنت من ترك الرشوة؟

أين أنت من ترك الخمر والمخدرات؟

أين أنت من ترك الكذب والغيبة والنميمة؟

أين أنت من تلاوة القرآن؟

أين أنت من صلة الأرحام؟

أين أنتِ أيتها المسلمة من العفة والطهارة والتزام الحجاب؟

أين أنتِ من ترك مخالطة الرجال، ومصافحة الأجانب؟

أين أنت من ترك سماع الغناء واللهو الصاد عن سبيل الله؟

بل أين أنت من إخلاص العمل لله، وترك الرياء؟

بل أين أنت من ترك العجب والغرور ومحبطات الأعمال؟

بل أين أنت من حقوق إخوانك المسلمين؟

بل أين أنت من ترك ما بينك وبينهم من تقاطع وتدابر؟

وهكذا اعرض نفسك على أوامر الله تعالى ونواهيه أمرًا أمرًا ونهيًا نهيًا، حتى تعلم مدى خوفك من الله تعالى حقًّا.

فالخائف من الله تعالى هو الذي يراقب الله تعالى في كل حين فيحجزه ذلك عن مخالفة أمره، وارتكاب نهيه.

ولا يصدق خوفك من الله تعالى إلا إذا اتقيته حيثما كنت وحدك أو مع الناس، وعلمت في كل حال أن الله رقيب عليك.

قال ﷺ: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"(١).

وكان الإمام أحمد - رحمه الله- يقول:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلــوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبــنَّ الله يغفـل ساعة ولا أن ما تخفي عليه يغيب

فالعبد لا غنى له عن الخوف من الله تعالى في حال من الأحوال، قال أبو سليمان: "ما فارق الخوف قلبًا إلا خرب"، وقال إبراهيم بن شيبان: "إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها، وطرد الدنيا عنها". وقال ذو النون:" الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف؛ فإذا زال عنهم الخوف ضلوا الطريق"(٢).

(٣) الخوف من الله سبب لنعمة الهداية والتوفيق:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ ملُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ ۞ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ۞

(١) الحديث حسن رواه أحمد والترمذي والدارمي، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع.
(٢) انظر: تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ص٢٧٠.

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ۝ قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ﴾[١].

فانظر إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا﴾.

فالخوف من الله تعالى نعمة عظيمة، وهو سبب هداية العبد وتوفيقه وسعادته في الدارين.

والمراد في الآية بقوله تعالى: ﴿أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا﴾ أي أنعم عليهما بنعمة الخوف من الله، أو أنعم عليهما بالإيمان واليقين، أو أنعم عليهما بسبب خوفهما من الله بالتوفيق والهداية إلى قول الحق، وحض قومهما على القتال والاستجابة لأمر الله، وأيًا ما كان المراد، فالحاصل أن الخوف نعمة[٢].

(٤) الخوف من الله يحقق الأمن والنصر والعزة في الدنيا:

إن الله تعالى يؤمِّنُ عبده في الدنيا أيضًا من عدوه، ومن كل ما سوى الله تعالى، إذا خاف الله تعالى في الدنيا.

انظر إلى نبي الله محمد ﷺ، كيف يأمره الله أن يتحدى قومه قائلاً: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[٣]؟.

وانظر إلى نبي الله إبراهيم- عليه السلام - كيف أمنه الله من أعدائه، ونجاه من مكرهم، حينما وضعوه في النار، فقال الله تعالى لها: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٤]، ولما حاجه قومه وجادلوه في الله الحق، حاجهم أعظم المحاجة، متحديًا لهم آمنًا من مكرهم، لا يخاف ما يخوفونه به من آلهتهم الباطلة، فهو لا يخاف

(١) المائدة: ٢٠-٢٣.
(٢) انظر: تفسير السعدي، القرطبي، الشوكاني في هذه الآية.
(٣) الأعراف: ١٩٦.
(٤) الأنبياء: ٦٩.

إلا الله، ويعلم أن الله تعالى يؤمِّن عباده المؤمنين، ويحفظهم برعايته، قال تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ۞ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ﴾[١].

فالمؤمنون الذين يخافون الله تعالى يؤمنهم الله تعالى في الدنيا والآخرة.

فيجعل لهم النصر والتمكين والعزة في الدنيا، ويجعل لهم الجنة والكرامة والرضوان في الآخرة.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ۞ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[٢].

(٥) ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾:

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله–: "يقول الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ بين يدي الله عز وجل يوم القيامة :﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ ولم يطع ولا آثر الحياة الدنيا، وعلم أن الآخرة خير وأبقى، فأدى فرائض الله واجتنب محارمه، فله يوم القيامة عند ربه جنتان، كما روى البخاري– رحمه الله–: عن عبدالله بن قيس عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: "جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن".

وقال حماد: ولا أعلمه إلا قد رفعه في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ وفي قوله: ﴿مِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾، جنتان من ذهب للمقربين، وجنتان من

---

(١) الأنعام: ٨٠-٨٢.

(٢) إبراهيم: ١٣-١٤.

وَرِق لأصحاب اليمين"[١].

(٦) الخوف من الله من سمات الأنبياء والصديقين والعلماء العاملين، وأولياء الله الصالحين:

اعلم -رحمك الله- أن الخوف من الله من سمات الناجين المقربين، فقد وصف الله تعالى به أنبياءه المرسلين، فقال تعالى بعدما ذكر جملة من أنبيائه ورسله في سورة الأنبياء؛ قال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[٢].

فأخبر الله تعالى عن هؤلاء الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا -أنهم كانوا يدعون الله تعالى: ﴿رغبًا ورهبًا﴾ أي رغبة ورهبة، فأثبت لهم صفة الرهبة من الله تعالى وهي أشد الخوف[٣]. وأخبر رسول الله ﷺ عن نفسه فقال: «والله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم خشية له»[٤].

* ذكر خوف أصحابه رضي الله عنهم...[٥]

عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه كان يمسك لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد، وقال: يا ليتني كنت شجرة تعضد ثم تؤكل. وكذلك قال طلحة وأبو الدرداء وأبو ذر -رضي الله عنهم-، وكان عمر بن الخطاب ﷺ، يسمع آية فيمرض فيعاد أيامًا، وأخذ يومًا تبنة من الأرض فقال: يا ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم

---

(١) «تفسير ابن كثير» [٣/ ٤٢١] ط. دار القرآن الكريم. بيروت.
(٢) الأنبياء: ٩٠.
(٣) انظر: «تهذيب مدارج السالكين» لابن القيم ص٢٧٢.
(٤) الحديث أخرجه البخاري [١٠/ ٤٣٧]، ومسلم (٢٣٥٦) من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: صنع رسول الله ﷺ أمرًا فترخص فيه، فبلغ ذلك ناسًا من أصحابه فكأنهم كرهوه وتنزهوا عنه، فبلغه ذلك، فقام خطيبًا، فقال ﷺ: "ما بال رجال بلغهم عني أمر ترخصت فيه فكرهوه، وتنزهوا عنه، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم خشية له".
(٥) هذا الجزء من خوف الصحابة والتابعين نقلناه عن «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة بتصرف يسير. ص٣١٣-٣١٤ تحقيق الأرناؤوط.

أكن شيئًا مذكورًا، يا ليت أمي لم تلدني، وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء.

وقال عثمان ﷺ: وددت أني إذا مت لا أبعث.

وقال أبو عبيدة بن الجراح ﷺ: وددت أني كنت كبشًا يذبحني أهلي فأكلوا لحمي، وحسوا مرقي.

وقال عمران بن حصين ﷺ: يا ليتني كنت رمادًا تذروه الرياح، وقال حذيفة ﷺ: وددت أن لي إنسانًا يكون في مالي ثم أغلق علي بابي، فلا يدخل علي أحد حتى ألحق بالله عز وجل وكان مجرى الدمع في خد ابن عباس ﷺ كالشراك البالي.

وقالت عائشة -رضي الله عنها-: يا ليتني كنت نسيًا منسيًا. وقال علي ﷺ: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئًا يشبههم. لقد كانوا يصبحون شعثًا صفرًا غبرًا، بين أعينهم أمثال ركب المعزي[1]، قد باتوا لله سجدًا وقيامًا يتلون كتاب الله تعالى، يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا ذكروا الله عز وجل، مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين.

فنعوذ بالله من الغفلة، ونسأله سبحانه أن يقسم لنا من خشيته ما يحول به بيننا وبين معاصيه، ومن طاعته ما يدخلنا به جنته.

❋❋❋

(١) يقصد أثر مواضع السجود في جباههم.